دلالات الصّمت في ثُلاثيّة نَجيب مَحفُوظ

د . رانيا فوزي عيسى
أستاذ اللسّانيات المُساعِد
كليّة الآداب – جامعة الإسكندريّة

العدد ٤٦ يناير ٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعد ثلاثية نجيب محفوظ من أهم الروايات العربية، فقد زخرت بكثير من الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية والسياسية والتاريخية، وتتميّز بلغتها الثرية، والثلاثية تحتمل مقاربات لسانية متعددة، منها ما يتصل بالجانب الصرفي، ومنها ما يتصل بالجانب التركيبي، ومنها ما يتصل بالجانب الدلالي وغير ذلك. وقد رأت الباحثة أن تتناول الثلاثية من منظور سيميائي، يبحث في العلاقة بين اللغة والدلالة. وبقراءة الثلاثية وجدت الباحثة ظاهرة لافتة للنظر هي ظاهرة (الصمت)، وكان التساؤل، كيف يؤثر الصمت من الناحية السيميولوجية في المعنى؟

وبالقراءة الدقيقة نجد أن الصمت لعب دورا كبيرا في ثلاثية نجيب محفوظ وقد طوّع محفوظ (الصمت) لخدمة تطور شخصيات ثلاثيته، واختلفت دلالة (الصمت) في كل شخصية عن الأخرى، ولم تقتصر دلالة الصمت على الشخصيات فقط، بل شملت الأماكن والطبيعة.

ويسعى البحث إلى كشف طبيعة تشكلات الصمت في الثلاثية وكيف يتغيّر معنى الصمت من موقف لآخر ومن شخصية لأخرى، ووقع اختياري على الثلاثية لسبب آخر هو الامتداد الزمني للرواية الذي انعكس على أحداثها وشخوصها، فخلق تنوعًا فريدا فيها .

وستعتمد الباحثة على المنهج الاستقرائي، لاستنتاج الدلالات المختلفة للصمت .

والله وليّ التوفيق .

مهاد نظري :

عُنى اللسانيون بدراسة الظواهر اللغوية المختلفة وقسموا التعبير اللغوي إلى قسمين قسم منطوق وقسم غير منطوقVerbal and Nonverbal ، ورأوا أن اللغة تقوم على هذين القسمين ولا يصحّ اعتمادها على جانب واحد فقط. وبرغم تعدد الدراسات اللغوية فإنّ الاهتمام بظاهرة الصمت لم يحظ باهتمام اللسانين، وهو الأمر الذي أشار إليه **Poyatos** بقوله: " لقد أضاع اللغويين فرصًا بحثية كبيرة قدمها الصمت لهم".[١]

وقد بدأ اهتمام اللسانيين بالصمت على يد كل من **Bruneau** و **Jensen** في سبعينات القرن الماضي، واقتصرت دراستهم للصمت في بدايتها على دوره في النطق أو الدراسات الصوتية، ثم وجهوا دراساتهم بعد ذلك إلى الجانب المكتوب للصمت [٢]وكيف يوصّل الصمت في النص المكتوب رسائل تعادل في أهميتها الجانب المنطوق.

وللصمت جانبان: جانب ملفوظ وجانب غير ملفوظ، ,ونعني بالجانب الملفوظ للصمت دور الصمت في الخطاب المنطوق والتفاعل المباشر بين أفراد الجماعة اللغوية، فالصمت يقوم بدور فاعل في التعاملات المباشرة Face to face interaction ويؤثر في الخطاب التواصلي المباشر بين أفراد الجماعة اللغوية ويؤدي وظيفة تواصلية كبرى فيسهم في إيصال أغراض المخاطبين المختلفة، فقد يلجأ المخاطب إلى الصمت بهدف التقاط الأنفاس، أو التعبير عن كظم الغيظ، أو حتى التهديد، فالصمت طبقا لذلك "ليس غيابا للصوت، بل هو حضور للمعنى." [٣] فليس معنى غياب الصوت أن تتغيّب المعاني، بل إنّ الصمت قد يكون أبلغ من كثير من الكلمات أو ما عرّفته **Deborah Tannen**بـ"بلاغة الصمت" Eloquent of Silence[٤]،فإن " ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تبن[٥] ." أما الجانب الثاني للصمت فهو الموجود في الخطاب المكتوب على تنوعها، وهو ما يُعنى البحث بكشفه من تعدد دلالات الصمت في الخطاب المكتوب.

والصمت ليس مجرد سكوت أو انقطاع عن الكلام بغير حاجة، بقدر ما يقصد به الإنصات وحسن الإصغاء للمتكلم مما يفيد صاحبه في العملية التواصلية[٦]. فالمسكوت عنه يثير في الذهن علامات كثيرة، ويؤدي معانى أكثر، فصمت الوالد عند خطأ ابنه يثير في نفس الابن تساؤلات متعددة من الخوف والقلق والحيرة وغيرها، وقد يكون الصمت إيجابيّا وقد يكون سلبيّا، والجانب الإيجابي للصمت هو ما نعني به، لأنه مفعم بالدلالات والتأويلات المختلفة، لذلك اهتم علماء اللغة بالصمت ورأوا أنه "عملية خطابية واعية أو غير واعية تظهر داخل النص وتحيل مباشرة على التلفظ، ويتولد الصمت من خلال سببين، هما العجز والرفض، يعود العجز إلى افتقار لغويّ، أمّا الرفض فمنشؤه تمرد يتجه نحو الخطاب الاجتماعي الذي يرفضه المتكلّم نحو المخاطب الذي يرفض عرضه للتواصل." [٧] ويقصد بالافتقار اللغوي الإصابة ببعض أمراض الكلام التي تؤدي إلى الصمت، أما الرفض وجانبه الاجتماعي فيأتي من تحكم قوى المجتمع في تصرفات الأفراد، ويركز **Robert N. St.Clair** على اعتماد على تأسيس اجتماعي، وأن بعض الاستخدامات الثقافية والاجتماعية مثل الصلوات، والوقوف حدادا، والاحترام وغير ذلك [٨] وإن كنت لا أتفق تماما مع تلك النظرة، فالصمت ليس نابعا من العجز والتمرد فقط، وليس مقصورا على الجوانب الاجتماعية والثقافية بل قد ينبع الصمت من جوانب نفسية كذلك .

وبلغ احتفاء العلماء بالصمت إلى درجة وصفه بأنه مُخاطرة تُعادل مخاطرة الحديث نفسه[٩] . وهذا حقيقي، فالصمت يثير في النفس ما هو أشد عمقا من الكلام، ومن خلال الصمت فإن ما لا يمكن الحديث عنه يُمرّر بالصمت.[١٠] وهو وسيلة لنقل ما يريد الأفراد قوله صراحة، وطبقا لذلك فهو ينقسم إلى ثلاثة أنماط (غير الملفوظ Unsaid,، غير المنطوق Unspeakable، Unsayable المسكوت عنه".[١١] ويتصل النمط الأخير أكثر ما يتصل بمنطقة المحرمات والتابوهات التي يُتجنّب الحديث عنها والصمت عنها.

وترى الباحثة أن هذه الأنواع "تقتضي من القاريء أو المتلقي الولوج إلى عالم النص وقراءة ما بين السطور الصامتة."[١٢] لذلك فقد افترض الباحثون أن المعاني التي يخفيها الصمت أكثر عمقا من الإفصاح بالكلام، فالصمت ليس غائبا عن النص، كما أنه ليس عنصرا محايدا في داخل النص، بل إنه يمثل دقيقة في اللغةSilence is a moment in language [١٣] ويقصد بقولهم دقيقة في اللغة أن الصمت قد يستغرق دقيقة وقوف في الكلام ولكن مدلولاته أكبر من ذلك وهو ما عبر عنه رولان بارث بالزمن الشعري والنظر إلى تلك اللحظة الزمنية بوصفها نتفة من كتابة مشفرة.[١٤]

والصمت لا يخلو من دلالات متعددة، فهو مثل أي عنصر لغوي مصقول من الاستراتيجيات السرديةNarrative strategies التي تحمل الأيديولوجيات المختلفة كما يكشف عن الافتراضات غير المذكورة في النص (بلفظها) ليكون الصمت معوضا عن غياب مجموعة كبرى من الكلمات ولكن حضوره يُعادل غيابها، واللغة هي غطاء الصمت وتُصبح بالتالي الصوت المسموع من خلاله. [١٥] هذه الافتراضات غير المذكورة هي ما يكشف عنه التحليل السيمولوجي، الذي يعني بقراءة دلالات النص الخفية، والكشف عن معانيها المتعددة، فالصمت لا يسير على وتيرة واحدة ولا يُعنى به معنى واحد، بل يختلف باختلاف السياق والشخصيات، والرموز متعددة متنوعة، وإذا قارنا بشكل سريع بين دلالات الصمت في الخطاب المنطوق فإن دلالته ليست واحدة، فالصمت في قاعات الدرس يختلف عن الصمت في القاعات الموسيقية، عن المنزل وغير ذلك، ودلالات الصمت في الفن التشكيلي كذلك تتنوع وتختلف فالفراغات البيضاء في اللوحات تؤوّول بأكثر من معنى.

ويمثل الصمت أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية والنصوص الروائية على السواء، حيث "لا يمكن أن يقوم حوار اجتماعي أو روائي دون أن يتخلله الصمت، لأن الصمت بنية مهمة تسهم في تشكيل اللغة الحوارية،"[١٦] ... ويقصد بالصمت الحواري " توقف زمني قصدي، يخترق كلام الشخصيات المشهد، ويكون لقصديته أثر في توجيه الحوار واستمراره ودلالته". [١٧] ويؤكد جيرار جنت على أهمية مراعاة الصمت أو التكرار " مما يجعل الاحتفاظ بالفرق

بين زمن حوار السرد وزمن حوار القصة قائما على الدوام". [١٨] وهو مع عبر عنه بأن للصمت " صلة عضوية بالزمن " [١٩] الزمن عامل رئيس وأساسي في الصمت، فهو الذي يسمح بتأويل المعاني المختلفة وهو الذي يسمح بقراءتدلالاته.

وقد أشار **Poyatos** إلى تعدّد دلالات الصمت خاصة في النصوص الروائية، ولفت إلى أن الصمت لا يعني عموم الغياب، أ، دلالة الغياب فقط، بل إننا من خلال فك ترميز Decoding دلالته سنصل إلى الرسائل الخفية المبعوثة من خلال الصمت. [٢٠]

وقد وظف كتاب الدراما على وجه الخصوص الصمت بوصفه وسيلة من وسائل " الذم والدعم، والتلاعب، وإثارة التوتر والانفعال، بالإضافة إلى أهمية الصمت في تقليل حجم الكلام والإكثار من الاستعارات فهم ينظرون إلى الصمت بوصفه (لعبة لغوية) ,Language games تقوم بنقل القوة من شخصية إلى أخرى، في التواصل بدون كلمات. Wordlessly [٢١]

وترى **باتريشا أوندك لورانس** أن على الباحث في دلالات الصمت الإجابة عن مجموعة من التساؤلات أهمها:[٢٢]

ما هي الطرق التي يُعبّر بها عن الصمت في النّص، كيف يحدد الصمت في السرد، هل هو علامة أم رمز، هل هو كلمة، موضوع، خطاب، بلاغة، وما هي الاستراتيجيات هو هو غياب أم حضور، ام فراغات في النصوص تُضمّن في البناء، أم أنه تأويل نفسي.

وظيفة الصمت: [٢٣]

للصمت وظائف متنوعة منها ما هو فسيولوجي للدلالة على الراحة، ومعرفية تسمح للمتكلم بإدراك ما يدور حوله واستيعابه، وأخرى اتصالية تسمح للمتكلم أن يبلغ ما يريد من أفكار عبر الصمت.

آليات الصمت:

للصمت عدّة أليات يمكن من خلالها كشف دلالته ومعانيه، فالصمت قد يكون من خلال الكلمات وعلامات الترقيم ,والفراغات أو البياض، والاستعارات، وكذلك الحركات الجسدية والاشارات وغير ذلك.

التطبيق:

تعدّ الثلاثيّة من أكثر روايات نجيب محفوظ امتلاء بالجوانب النفسية والاجتماعية، والدلالات المختلفة، وقد رأت الباحثة أن دالة الصمت تلعب دورا لافتا في الثلاثية وارتبط الصمت بدلالات نفسية واجتماعية متعددة.

دلالات الصمت في الثلاثية:

دلّ **الصمت على الغياب** أو خلوّ البيت من صاحبه، عندما عرض "محفوظ" لحال "أمينة "والبيت في غياب "السيد" (فلا دليل تطمئن إليه إلا إحساسها الباطن– كأنه عقرب ساعة واع– وما يشمل البيت من {صمت } ينمّ عن أن بعلها لم يطرق بابه بعد.. ول تضرب طرف عصاه على درجات سلمه". [٢٤] فقد جاء الصمت في السياق السابق معادلا للغياب.

ونجد **توظيفا لعلامات الترقيم** بوصفه أداة من أدوات الصمت فقد وظف (محفوظ) النقاط (...) دون أن يستخدم لفظ الصمت صراحة وهي واحدة من الوسائل اللغوية التي يوظفها منتج النص لإثارة المتلقين (تُرى أين يكون سيدي الآن؟ ...، وماذا يفعل؟...) [٢٥](ثم وضعت الطست عند قدمي الرجل...) [٢٦] ودلت على حوار الذات، الانتظار، التساؤل.

وجاء الصمت دالا **على قوة الشخصية والسيطرة** على مجريات الموقف التحكم في زمام الأمور "وانفجر الرجال بالعربة ضاحكين، فانتظر السيد **حتى عادوا إلى السكون**" [٢٧]

جاء الصمت معادلا لقوة شخصية (أحمد عبد الجواد) وترك مساحة لصحبته من التفريج عن أنفسهم، ومن ثم ذكر ما يريده، وجاء لفظ (السكون) معبرا عن إصغاء الحضور لما سيقوله السيد. وقد دلّ السكون على الصمت التام والإصغاء التام من الحضور، حتى يبدو وكأن المكان قد شاركهم في سكونهم.

بينما نجد دلالة **الصمت جوعا وخوفا** أو الجوع الممزوج بالخوف (فهاجت بطون الإخوة بشهوة الطعام ولكنهم حافظوا على جمودهم متجاهلين المنظر الذي أنزل عليهم كأنه لم يحرك فيهم ساكنًا) [٢٨] فرغم كونهم جوعى فإن خوفهم من (السيد) أجبرهم في السكوت والصمت.

وتتعدد دلالات الصمت فتجتمع دلالتان في موقف واحد وبرغم حالة الصمت فإن الصمت عبر عن معنيين الأول **الاستمتاع والثاني الحفاظ على الوقار** (وربما جرت على شفتيه ابتسامة عريضة في جلسته هذه لذكرى طافت به من ذكريات سهرته السعيدة، فسرعان ما ينتبه إلى نفسه " **ويُطبق شفتيه**"... **وصمت السيد قليلا**، فبدا كالشارد، وعاد يقطف ذكريات ليلته السعيدة". [٢٩] (فالسيد) بشخصيته القوية يخشى من افتضاح أمره أمام زوجه، فجاء الصمت دالا على دلالتين مختلفتين، الأولى الوقار والهيبة في قوله " ويطبق شفتيه " خشية صدور كلمة أو ضحكة قد تكشف أمره، والثانية: دلالة الاستمتاع فتأتي في (صمته قليلا) الذي أعاد له ذكريات ليلته السعيدة.

كما دلّ الصمت على **التوتر والصدمة** بعدما عرفت (مريم) برفض (السيد) لها، وتغيّرت حال الانبساط والمرح إلى حال من التوتر والانفعال المكتوم (وبدا الموقف صامتا إلا أنه كان صمتا مكهربا يكاد ينطق بغير لسان) لذلك فقد جاء وصف الصمت بأنه صمت مكهرب، انعكس على كل من (مريم) والطفل (كمال). [٣٠]

ومن دلالات الصمت كذلك **التشجيع والتحفيز** على الحديث والانبساط، وهو ما دفع (محفوظ) بوصف الصمت بأنه صمت لطيف (فيجد من عائشة صمتا لطيفا) (فكمال) وهو يستذكر دروسه يجد في صمت (عائشة) تشجيعا له على استكمال ما يقوله من قصص وحكايات وغيرها. [٣١]

وجاء الصمت معبرا عن **الأمل والرجاء** في انتهاء الغارة، لذلك جاء الصمت (طويلا ممتدا) أثار في النفوس الأمل والرجاء فهو ليس بصمت قصير يثير الرعب في رجوع الغارة مرة أخرى (ثم أناخ الصمت وامتدّ وطال وعمق، ثم انعقدت الألسن) [٣٢]

وكان **التوسل الممزوج بالرجاء** من الدلالات التي عبر عنها (محفوظ) بقولـه (أمسكا بالله لنأكل فطورنا بالسلام) [٣٣] وقد وردت هذه الدلالة إثر طلب (أمينة) من بناتها الكفّ عن المشاحنة والصمت وتناول الطعام. وقد جاء الطلب بفعل الأمر (أمسك) وهو يتضمن معاني السكوت والتوقف والسكون.

وللصمت **دلالة التنبيه أو الانتباه،** وإثارة الانتباه، ونجد هذه الدلالة في الموقف الذي دار بين (عائشة ووالدتها) وهي تحكي لها عن الحلم الذي حلمته (وأمسكت أمينة عن تناول طعامها في اهتمام جديّ، فلازمت الفتاة الصمت قليلًا لتستأثر بأكبر قدر من الاهتمام). [٣٤]

وجاء **الصمت معادلا لذهاب العقل** في قوله (وقد ساء به ظنه لما يورث من ذهول ووقار مشبع بالهدوء "**ميّال للصمت**" وعند الحديث عن مُخدر الحشيش، جاء الصمت ملازما له فالحشيش طبقا لرؤية السيد (أحمد عبد الجواد) يُذهِل ويجعل الشخص ميّالا للصمت/ ذاهلا عما حوله. وقد جاء وصف الصمت بصيغة المبالغة (ميّال) للدلالة تلازم هذه الصفة في ذلك المخدر، واقتران الميل بالصمت يشير إلى أنه ليس ضروريا أن يكون هذا العرض عند الجميع ولكنه الأكثر ملاحظة على من يستخدمونه.

تعد دلالة **الحزن** من أكثر الدلالات الملتصقة بالصمت ترددا في الثلاثية وقد جاءت في غير موضع ومن ذلك ما نجده في ردّ (أمّ ياسين) على تصرف ابنها معها ، "ثمّ قالت بصوت لا يكاد يُسمع..".[٣٥] "فصمتت مليًّا، مُطرقة محزونة، غارقة في اليأس، ثمّ ندت منها تنهيدة". [٣٦] وكان وقع وفاة فهمي محزنا أشد الحزن لوالده، فـ"ختم الصمت شفتيه واسترسلت عيناه في نظرة شاردةغائبة، مضت هنيهة خيّم الصمت عليهم أجمعين".[٣٧] وكذلك "وكان الراديو ومازال يذيع أغانيه ساخرًا من حزن البيت الصامت".[٣٨]

وجاء الحزن مختلطا بالذهول والصدمة عند وفاة السيد عبد الجواد " جلسوا واجمين وغشيهم الصمت والوجوم ". [٣٩]ووصف الحزن بالصمت الواجم "كمال حزنه في صمته الواجم"[٤٠] وكذلك: " ولاذوا بالصمت والوجوم يعلوم وجوههم"[٤١]ذلك إثر إعلامهم بصعوبة حالة أمينة الصحية.

ووظف (محفوظ) **الصمت ليدلّ على التقدير والاحترام** وتمثلت هذه الدلالة عند لقاء (السيد أحمد عبد الجواد) (بالشيخ متولي) الذي يكنّ له احترامًا كبيرًا (**فأطبق السيد شفتيه** باسطًا راحتيه استسلامًا، **حاملا نفسه على الصمت هذه المرّة**، فتريّث (الشيخ متولي) ليتأكد من دخول طاعته". [٤٢] تمثلت دالة الصمت هنا في دلالتين أولاهما (الحركة الجسدية) من انطباق الشفتين انطباقا يُشير إلى الالتزام التام بالصمت، والثانية تتمثل في قوله (حاملا نفسه على الصمت)، فهو رغما عنه يُقدم فروض الاحترام والتوقير ويحملها (عنوة) على الصمت.

كما جاء الصمت ليدلّ على **الخضوع** في صمت (أمينة) في وجود زوجها " وعادت إلى الحجرة فأغلقت الباب وسحبت من تحت السرير شلتة تجلس إلى جانبه تأدبا. ومضى الوقت وهي ملازمة الصمت حتى يدعوها إلى الكلام فتتكلّم". [٤٣] ومنه أيضا: "فعادت إلى ما بين يديها وجعل السيد يحدق فيها متوعدا حتى اطمأن إلى صمتها". [٤٤] الحقيقة أنه لم يطمأن إلى صمتها بقدر ما اطمأن إلى خضوعها التام لإرادته وعدم مخالفتها لأوامره.

ودلّ الصمت على **الظفر والانتصار** في قول الشيخ متولي "وآنس الشيخ من صمته تسليمًا فصاح بظفر". [٤٥]

ودلّ الصمت على **السكينة والأمان والتحصين** على هيئة أصوات داخلية أو ديالوج ذاتي غير مسموع "على حين وقف (الحمزاوي) عند المدخل شابكا ذراعيه على صدره مواصلا تلاوة ما تيسر من الآيات في صوت باطني غير مسموع". [٤٦]

ومن دلالات الصمت كذلك **التحذير أو التهديد** وجاء في سياق الحديث بين (الشيخ متولي والسيد عبد الجواد) "ألم أنبه عليك أكثر من مرة بألاّ تفاجئني بالحديث وأن تلتزم الصمت حتى أتكلّم أنا". [٤٧]

وحضر الزجر والنهر بشكل واضح، واستخدم المنتج فعل الأمر (اسكت، اسكتوا) " اسكت أنت أريد يا أخي أن أسمع صوته_ اسكت أنت!" [٤٨] فالباشا (عبد الرحيم) ينهر (حلمي) ويأمره بالصمت والسكوت حتى يستمع إلى صوت (رضوان) ويعلم فيما يفكر. وورد الزجر والنهر كذلك عندما اجتمعت مجموعة

الأشخاص في المخبأ وقت الغارة وصدرت بعض الأصوات الملتاعة، فكان الأمر بالصمت حتى لا يكشف أمرهم "اسكتوا.. اسكتوا يرحمكم الله"[٤٩] " اسكتوا هذا الشؤم" [٥٠] وكذلك بين (السلطانة والعازف) "اسكت أنتَ وسدّ فاك الذي يبلع المحيط" [٥١]

ومن دلالات الصمت أيضا **التعب** (أحمد وعبد المنعم شوكت) (وسكتا قليلا)[٥٢] ، وكذلك عندما نظر (كمال) إلى وجه (عائشة) التي أضناها التعب وحفر بقسماته على ملامحها، فكان الصمت ملازما لها "ومضى ينظر في حزن إلى الوجه الشاحب الصامت" [٥٣]

وهناك دلالة الاستسلام كذلك فقد استسلم (كمال) لشجونه وأحزانه وأعلن استسلامه واعلانه لحبه المؤلم لعايدة " – إنكار حبك عبث كإنكار الشمس في رابعة النهار، صمت كمال صمتا مليئا بالشجن والاستسلام."[٥٤]

وعبر الصمت كذلك عن **الشوق واللهفة** عند لقاء (عبد المنعم شوكت) بفتاته بعد طول انتظار، حتى إننا لنجد الصمت يشارك الفتى لهفته وعشقه، ويصدر عنه أصوات توضح شدة اللهفة والاشتياق فجاء تصوير الصمت وكأنه عاشق يصدر منه أصوات التلهف " وندّ عن الصمت تنهيدة تردد أنفاسها ".[٥٥]

ومن دلالته أيضا **التذمر والضيق** (وسُرعان ما فترت روح السيد ولاح في عينيه الضيق " **ولزم الصمت مليًّا**". [٥٦]برغم توقير (السيد أحمد عبد الجواد للشيخ متولّي) إلا أنه بدا متذمرا من كلامه الذي أثار في نفسه كثيرا من الضيق، ولأن مكانة الشيخ متولي مميزة عند السيد، فجاء الصمت بمثابة الملجأ الوحيد لتذمره وضيقه (وجاءت دالة الصمت مقترنة باللزوم وبالكلية. وعادت الدلالة ذاتها للظهور في الجزء الثالث من الثلاثية (السكرية) ومع الشخص ذاته (فهزّ أحمد عبد الجواد رأسه هزّة مقتضبة سريعة، كأنما يُعلن احتجاجًا صامتًا) [٥٧] (فالسيد) يضيق بالنصائح التي يوجهها له (الشيخ متولي)، ولأنه يوقره ويحترمه، فلم يجد وسيلة يعبر بها عن ضيقه وتذمره غير الصمت فجاء الصمت معادلا لكلمات التذمر.

ومن دلالته أيضا الاسترخاء/ الراحة/ التقاط الأنفاس (وأعقب هذه المعركة الكلامية **فترة سكون** بدا فيها كلاهما راضيا عن نفسه." [٥٨] فقد تلاسن

(السيد) و(جليلة العالمة) وتصاعدت حدّة الكلام بينهما وبديا كأنهما في حرب كلامية طاحنة، وأعقب هذه الحرب (فترة صمت) أو فترة راحة حتى يتهيأ كل منهما لما سيأتي بعد.

وجاء الصمت دالا **على الدلال** في غير موضع من الثلاثية، "ولكمته في منكبه قبل أن يتم جملته **فأمسك** ثم أغرقا في الضحك.)[٥٩] وكذلك (العوادة زنوبة) عندما ذهب إليها (السيد عبد الجواد) يخطب ودها، فكان الصمت دالا على تدللها عليه: "ولكنها سبحت يدها في صمت" [٦٠] ، وكذلك "وجلست راسمة على وجهها صورة الجد والاحتجاج الصامت" [٦١] ومنه أيضا " ثم وقفت على بعد ذراع منه تمعن فيه نظرا صامتا"[٦٢] ، "وضحكت ثلاث ضحكات متقطعة، ثم صمتت مليا"[٦٣] ارتبطت دلالة الصمت بشخصيات الراقصات أو العوالم فهنّ يقمن باستغلال طبيعتهن في التدلّل على السيد والوصول إلى مآربهن عكس الشخصيات النسائية الأخرى (زوج السيد وبناته).

وتأتي **دلالة الغلظة والقسوة مناقضة للدلالة السابقة،** وقد صدرت تلك الدلالة عن (السيد) أو لنقل ارتبطت بشخصيته في تعامله مع أسرته، عكس تعامله مع صحبته فنجد أن الصمت وظف ليدلّل على قسوة السيد وغلظته مع زوجه (أمينة) أثناء عرضها أمر خطبة (فهمي) من (مريم)، وجاء لفظ(الخرس) معبرا عن نهره القاسي لها (**–ماذا أخرسك؟!** خبريني هل رآها؟) [٦٤] وجاء الفعل (أخرس) (أفعل) المتعدي بالهمزة ليدل على أن هناك (فاعلا مشاركا دفع (أمينة) دفعا للإصابة بالخرس. ونجده كذلك في تعامله مع ابنه (ياسين) " وجعل السيد يتفرس في وجهه بقسوة مطيلا الصمت ". [٦٥]

وجاءت **دلالة التغافل** مصاحبة لشخصية (أمينة) التي علمت بفعلة (ياسين) وتعديه على (الخادم أم حنفي) ولكنها بصمتها تغافلت وتجاهلت ما حدث "وظلّت أمينة صامتة كما واصلت صمتها فيما بعد كأنها لم تدر شيئًا".[٦٦] وكذلك " ولكنها تصامت عن الإشارة" [٦٧]

ودل **الصمت على التجاهل** في موقفين الأول بين (السيّد وأم مريم) عندما طلبت منه ردّ أمينة للمنزل (مالك صامتا؟ كأنك لم تسمعني) [٦٨] وكذلك مع

(السيدة شوكت) في طلبها (فهل جاء زمن تُقَابل فيه هذه الرغبة، مني أنا بالصّمت والتهرب؟!)[٦٩]

نفاد الصبر/ الغيظ/ العجب اقترن الصمت بتلك الدلالات الثلاث، فقد فوجيء (السيد) (بزوجه) طريحة الفراش، وعندما سألها عما بها لم تجبه فقال لها (لماذا لا تتكلمين؟!، عجبًا ألا تريدين أن تتكلمي؟)[٧٠] وكان استخدام السيد لفعل الكلام منفيّا، ولم يستخدم كلمة (الصمت) الصريحة، لعلمه أن أمينة لا يمكنها أن تصمت (تخرس) في حضوره. وظهرت دلالة نفاد الصبر في موضع آخر عندما لم يتحمّل (السيد عبد الجواد) مجاملة(السيّدة شوكت)، وعبّر عنه (محفوظ) بقوله: "وشعر عند ذاك بأنّ الصمت غدا أثقل من أن يحتمل مجاملة الزائرة".[٧١] ومنه كذلك عندما انكشف أمر (ياسين) مع (الخادم نور) "فلم يعد يستطيع مع الصمت صبرًا".[٧٢]

الانتقاد جاء في سياق لوم (السيد) لياسين وزوجه زينب على الذهاب (لكازينو كشكش بيه) فلم ترض (أمينة) عن سلوك (زينب) زوج يس مثل هذا السلوك، وربما كان انتقادها نابعا من حسد لها على ذهابها " فمازج انتقادها الصامت شعور طاغ بالمرارة".[٧٣]

الوسوسة " إلا أنه وجد إغراء لا يصمت من سيرة أبيه" [٧٤] فياسين تنازعه نفسه على نهج السلوك الماجن الذي ينتهجه والده فيستمتع بالحديث الدائر الذي يدور عن أبيه، وكأنه يبرّر لنفسه سلوكه وفجاء الفعل المضارع (يصمت) مسبوقا ب(لا)

وارتبطت دلالة الصمت بالغضب والوعيد في قوله: (أنصت السيد إليها **صامتا جامدا، وطال الصمت واشتدّ وشاعت** في جوه المقبض نُذر الخوف والوعيد)[٧٥]نلاحظ أن الصمت يشكل دلالة متصلة شديدة المعنى في الفقرة السابقة إذ صدم (السيد) بواقعة خروج زوجه من البيت دون إذنه، فجاء الصمت غضبا وصدمة، لا مجرد حالة من السكوت التي تنتهي، فهو صمت ينذر باتخاذ رد فعل قوي. فجاء صمته جامدا، موافقا لحالته الجسدية، التي شاركته الصمت، ودلّ التركيب (طال الصمت، واشتدّ، وشاعت..) على استغراق السيد

في التفكير في عاقبة تلك الفعلة، فجاء الصمت ممتدًا مرعبا، كما جاء توصيفه (بالانقباض) ليدلّ بشكل واضح على مدى غضبه مما قامت به زوجه.

وعندما أراد الكاتب أن يوظف دلالة الصمت بمعنى **الرضا والموافقة** استخدم كلمة (السكوت) التي تضمن معنى الموافقة والرضا أو كما يذكر المثل (السكوت علامة الرضا) وجاء ذلك في سياق رفض (أمينة) لزواج (ياسين بمريم)، إلا أن (كمال) وعد بالتدخل وحملها على الصمت (الرضا) وعدم إثارة المشاكل "ولكنّ كمال وعد بأن يحملها على السكوت". [٧٦]

ونجد الصمت وسيلة من وسائل **التظاهر والتمثيل** فقد اتخذت شخصية (أم مريم) من الصمت وسيلة للتظاهر بغير الحقيقة، لاكتساب تعاطف (ياسين) "هزت المرأة رأسها هزة الضحية البرئية وصمتت قليلا حتى حانت منها التفاتة إلى فنجال القهوة". [٧٧]

ومنه أيضا تظاهر (ياسين) بالأسى بعد كشف والده لزواجه من (زنوبة) "عاد ياسين إلى صمته متظاهرًا بالأسى".[٧٨]

تداخلت دلالاتا **الخوف والقلق** وارتبطتا بالصمت عندما كانت (نعيمة) تلد وتعرضت لعسر في الولادة، فكان الصمت دالا على قلق زوجها وأقاربها وخوفهم عليها. " وخيم على الحجرة المغلقة السكون؟؟ .. بيد أنه تواصل حتى وجموا وامتقع لون (عبد المنعم) ثم عاد الصمت مرة أخرى ولكن إلى حين".[٧٩]

ومن دلالته أيضا الصرامة، تعمد الصمت/ إثارة الرعب، التخويف/ الترهيب، وقد وظف (نجيب محفوظ) دالة الصمت توظيفا مثاليا في تشكيل رد فعل (السيد) الصارم على فعلة (أمينة) فنجده يقول: "وحسا السيد قهوته **في صمت** عميق، لا ذاك **الصمت** الذي يقع عفوا أو كالراحة عقب التعب، أو كغطاء لصدر فارغ من شئون الحديث، ولكنّه صمت صامت مُسربل بالتعمّد... { فحيّرها صمته المتعمّد، } على أن الصمت الغليظ لم يمتدّ طويلًا". [٨٠] يشكل الصمت وسيلة فاعلة في الحوار المباشر بين جماعة المتكلمين ويشير إلى معان عدّة، إلا أن (محفوظ) استطاع بقلمه أن يوظف دالة الصمت في تصوير موقف (السيد) وردّ فعله على ما قامت به (أمينة) فنجد أن الصمت هو الفاعل الرئيس في السرد السابق وانقسم الصمت إلى عدة دلالات كلها تتلاحم مع

بعضها البعض لتعطي الصورة الكلية، فاحتساء (السيّد) قهوته في صمت عميق (تدل على استغراقه في التفكير والعزم على اتخاذ القرار) بينما جاء توصيف (محفوظ) لطبيعة ذلك الصمت بأنه صمت (غير مريح) يثير في النفس – نفس أمينة – القلق والرهبة والرعب، ويبدو (محفوظ) واعيا لدلالات الصمت المختلفة، ويحاول توصيل اختلاف صمت السيد هذه المرة عن المرات السابقة، فهو ليس بصمت الراحة، ولا صمت الفراغ، ولكنه (صمت صامت مسربل بالتعمد) فوصف الصمت بكلمة الصامت، ليقوّي من وقعه ومدى شدته في النفس، وهو وصف مغرق في القسوة والتعمد وجاءت لفظة (مسربل) اسما للمفعول لتوضح مدى تعمده، كما وصفه تاليا بأنه (صمت غليظ) في دلالة واضحة على قسوته.

وتعد دلالة **القلق** واحدة من الدلالات التي دلّ عليها الصمت ومن ذلك ما نجده من طلب (عبد المنعم شوكت) من أبيه محادثته، فأثار في نفسه القلق "وتبعه إبراهيم شوكت صامتا" [٨١] وما نجده أيضا من متابعة (الأم) لولدها (كمال) وهو يلعب مع الجنود الإنجليز " حتى الأم نفسها استطاعت أخيرا أن تشاهد المنظر العجيب الذي يمثل تحت ناظريها بدهشة ممزوجة بقلق صامت دون عويل." [٨٢]

دلّ الصمت أو طلب الصمت إذا أردنا الدقة على **الحسم والحزم، والإجبار** ربما (فالسيد عبد الجواد) بإشارة من يده أجبر زوجه على السكوت، "ولكنه أسكتها بإشارة من يده" [٨٣]اشتركت الحركة الجسدية هنا مع الصمت في إجبار أمينة على الصمت، كما أشار الصمت إلى نفاد أمر السيد، وأنه لن يستمع إلى أيّة تبريرات، واستخدم الفعل (أسكت) في إشارة واضحة لإجبارها على الصمت. وجاء بمعنى الحزم كما نجد في منع (زوج خديجة) لها من الحديث "وهمت خديجة بالكلام ولكن زوجها منعها". [٨٤]

ومن دلالات الصمت كذلك **التراجع** عن أمر ما، فقد تراجع (ياسين) عن مصارحة (زوج أبيه) بما يعتمل في نفسه من رغبته في طلب يد مريم: "ولكن اندفاع أمينة إلى الرد بذاك الصوت المتهدج غير المعهود أسكته، أجل أسكته وانطلق باطنيا على نعمة السكوت".[٨٥]

فنجد أن الصمت عبر عن تراجع (فؤاد حمزاوي) في طلب يد (نعيمة)ابنة عائشة " خاصة بعد ما ثار حول صمت فؤاد حمزاوي من تعليقات" [٨٦]

وللصمت **دلالة الحيرة** حين اجتمع (كمال) بوالدته لشرح بعض آيات القرآن لها وبعض الأمور المتعلقة بالدين، ولم تكن (أمينة) على فهم تام لها فدل" الصمت على حيرتها وعدم استيعابها لما يقال بشكل تام. " ولكنها على شديد حيرتها لاذت بالصمت" [٨٧]

كما ظهرت دلالة الحيرة في صمت (السيد) عندما التقته (السيدة/ شوكت)، التي زارته لخطبة ابنته "وأمسكت السيّدة لتسبر أثر كلامها، ولتسمع رأي السيد فيه، ولكنه لاذ بالصمت كأنه لا يجد ما يقولـــه". [٨٨] الصمت هنا متبادل بين السيدة والسيد، وإن جاءت دلالته مختلفة بينهما، فالسيدة صمتت لترى (أثر) تأثير طلبها في نفس السيّد، وجاء صمته ليدلّ على تحيره في الإجابة المطلوبة، فالتجأ إلى الصمت (ولكنه لاذ بالصمت). فكأن الاعتماد على الصمت هنا قد ينقذه من حيرته وتردده .

وترددت دلالة الحيرة في حيرة (أهل خديجة)حول مصارحتهم لها بطباعها.. "ساد الصمت كان أهلها لا يدرون ماذا يقولون". [٨٩]

وللصمت **دلالة الكتمان** وعدم البوح بما يعتمل في الصدر، (فياسين) وهو في سن صغيرة آثر كتمان ما يدور في صدره ناحية أمه وأبيه، "تحاشى نبش الذكريات المحزنة وغلب كبرياؤه الجريح على الرغبة في استثارة اهتمام أبيه وحب الثرثرة الذي يستهوي أمثاله من الغلمان، ولزم الصمت حتى ترامى إليـــه نبأ غريب" [٩٠]

ومن ذلك أيضا خبر إعلان خطبة (عايدة) المفاجيء، ورد فعل (إسماعيل لطيف وكمال) "يا لكما من داهيتين! صمت طويل يعقبه فجأة إعلان خطبة!" .. " جرت العادة بأن تنضج هذه الأمور في صمت"[٩١].

كما دلّ الصمت على **التساؤل** عندما حاولت (الراقصة جليلة) التساؤل عن سبب حضور (السيد) إليها، فلم تعمد إلى السؤال المباشر أو الاستجواب المباشر، بل كان الصمت هو الوسيلة لذلك، "وساد الصمت قليلا فجعلت السلطانة تنظر إليه **فيما يشبه التفكير وكأنما** تستخبره عن سر حضوره"[٩٢]

ومن دلالات الصمت كذلك **الارتباك والتوتر** "كان (فهمي) يترقب هذه اللحظة .. حتى ساد الصمت ثم جاءت أمه لتحييه تحية المساء فدعاها إليه وقد تناهي به توتر الانتظار. ومع أن أمه بدت كالحمامة الوديعة، ومع أنه لم يشعر حيالها قط بتحفظ أو خوف، إلا أنه وجد عسرا في التعبير عما يريد الافصاح عنه، فعلاه ارتباك الحياء، ومضت فترة صمت ليست بالقصيرة".[٩٣] وكذلك عندما ثار (والد كمال) عليه عندما علم برغبته في دخول مدرسة المعلمين ولم يكن هناك رد من (كمال) فدلّ صمته على الارتباك والتوتر: " ولما لم يجد إلا الصمت والارتباك" [٩٤]

ودلّ كذلك على **فهم الآخر والتوافق** عندما اجتمع (فهمي) بوالدته وطلبه منها مفاتحة والده في أمر خطبته لمريم، فكان الصمت بينهما دالا على اتفاقهما في صعوبة الطلب وردّ فعل والده. "وسكنا إلى الصمت مليا وهما يتبادلان النظرات. مجتمعين في فكرة واحدة وهما عن بداهة يدريان إذ كان كلاهما يفهم صاحبه خير فهم"[٩٥]

وعلى عكس دلالة فهم الآخر نجد دلالة **قراءة الآخر** عندما صمت (رضوان) وهو يستمع (لعبد الرحيم باشا) فاستحثه الباشا على الحديث " خبّرني يا رضوان من أنت؟ هه. إنك تركتني أتكلّم بلا وعي وأنت صامت كدهاة السياسة". [٩٦]

الهزيمة "خاف كمال إن هو استسلم للارتباك والصمت أن يغلب على أمره" فقد دخل (كمال) في جدال مع والده حول مقاله الأخير الذي تحدث فيه عن نظرية داروين، فخشي أن يفهم صمته على أنه هزيمة أو إقرار بما يقوله والده. [٩٧]

ولعبت **دلالة الصمت على المغازلة** دورا واضحا في غير موضع في الثلاثية ومن ذلك ما نجده في صمت (ياسين ومريم) فوق سطوح منزلهما " صمت ونظر متبادل بين الشخصين" [٩٨] وكذلك بين (السيد عبد الجواد والعوادة): " وساد صمت وتبودل نظر ثم مدت بصرها إلى لا شيء، تكهرّب الصمت فلم يعد يحتمل".[٩٩] كما لعبت تلك الدلالة دورا مهما في لقاء (ياسين بأم مريم)ورغبته في الحصول عليها (وتبديد سحابة الشك هي أن يمزّق

الصمت.. ثم متسائلة بعد فاصل صمت قصير.. جاء صوتها هادئا طبيعيا دلّ إلى ذلك على رغبتها في إزاحة الصمت .. ولعلها ظنته لصمته لا يزال مشغولا بما أثارته من حديث.. وتبادلا ابتسامة في صمت، وراح يحدجها بنظرات ريبة، تطول حينا وتقصر حينا دون انقطاع وفي صمت مريب.. النظر إلى معان لا تخفى على ذي عينين.. وهي مطرقة صامتة باسمة..."[١٠٠] الموقف بأكمله اعتمد على الصمت، فياسين وجد ميلا في نفسه ناحية أم مريم فبدأ بمغازلتها في صمت، فالأمر برمته غريب، فقد ذهب إليها لطلب يد ابنتها، إلا أنه عندما رآها دفعته رغبته في الحصول عليها، ولما لم يقدر على مصارحتها كان الصمت هو الوسيط بينهما، فبدأ الموقف بالصمت وانتهى إلى الصمت الذي عنى موافقتها لرغبة ياسين وتشجيعه على طلبه هذا، وكلما حاول كبح جماح رغبته كان الصمت مشجعا ومحفزا له على مغازلتها.

واقترن الصمت **بدلالة السعادة** عندما اجتمع (كمال) بحبيبته (عايدة) في نزهة قصيرة في السيارة "وساد الصمت ورحب كمال بالصمت ليفرغ إلى نفسه، أيها اللاهثون وراء السعادة إني وجدت في الكلمة الفارغة والرطانة الغامضة وفي الصمت أيضا وفي لا شيء" . [١٠١]

وجاء الصمت ليدلّ على **الخصام والقطيعة** عندما قاطعت (عايدة) (كمال) بعدما تناهى إلى سمعها تصريحه بحبها، فكان الصمت دليلا على الخصام والحزن " أما لقاء اليوم فابتلاه بالتجاهل، بالنبذ، بالصمت... و "لم يبد عليها أنها سمعته ولم تزل مصرة على الصمت" [١٠٢]

وفي السياق ذاته – لقاء (كمال بعايدة) – نجد الصمت يدل على **خيبة الأمل** برفضها تصديقه ودفاعه عن نفسه" واستحكم الصمت مرة أخرى فعاود مسمعيه حفيف الغصون".[١٠٣] فصمته دليل على خيبة أمله.

ويدلّ الصمت كذلك على **الاستيعاب والتفهم والراحة.** فبعد شرح (كمال) لموقف وما حدث (لعايدة)، تقبلت عايدة ما حدث واستوعبت الموقف "ساد صمت مقطع بأنفاسه المترددة، ولكنه وجد في صمتها راحة"[١٠٤]

من دلالات الصمت أيضا **الترقب:** فعندما صرح (ياسين) (لمريم) برغبته في خطبتها صمت مترقبا رد فعلها. " ساد صمت بدا غريبا مليئا بالفكر" . [١٠٥]

وهناك دلالة أخرى عندما تناقش (كمال) و(فؤاد) لم يرغب فؤاد في إثارة غضب كمال فآثر السلامة فلجأ إلى الصمت ومن هنا جاء الصمت دالا على **إيثار السلامة** "هزّ فؤاد رأسه كالموافق دون أن ينبس، وظلّ لائذا بالصمت".[١٠٦]

وللصمت **دلالة التحفّظ** " فثابر السيد على صمته متجاهلا تساؤلها"[١٠٧]، أوضح (محفوظ) دلالة صمت (السيد)، فالسيد لم يُجب السيدة لطلبها، وتحفظ عليه، متجاهلا الطلب. وكذلك في تحفظ السيد وأصحابه في زفاف ابنته عندما التقته (العالمة جليلة) أمام أهل بيته حتى لا يُكشف ستره أمامهم (ومرة أخرى كان الصمت قد غلبهم مليّا) [١٠٨]

ولعب الصمت دورًا في تحفظ (السيّد) على تودد (أم مريم) وإظهارها لرغبة في لقائه "فأدرك من توّه أنّها تشير إلى ما بدا منها في الزيارة القديمة من تودد قابله بالصّمت."[١٠٩]

ووظف (محفوظ) الصمت بوصفها دالة من دوال **التأنيب/ التوبيخ** عندما عادت (أمينة) للمنزل بعد تركها إياه، إلا أن (السيد) اتخذ من الصمت سلاحا لتأنيبها.. "وبدأ يخلع ملابسه صامتًا فتقدّمت منه لمعاونته".[١١٠]

وترددت دلالة التفكير والتساؤل في غير موضع من الثلاثية "فتلقّى السيّد الدعوة صامتا، وصرف الرسول" [١١١]فجاءت دلالة التفكير هنا عندما بعثت له (أمّ مريم) في طلبه، فهو يفكر في سبب الدعوة الغريب عليه. كما نجده بين الصديقين (رضوان وحلمي) وهما يفكران في الغد وفي لقاء الباشا، "وساد الصمت وهما يذيبان السكر". [١١٢] وأيضا عندما استعرض (الباشا) الأحداث التي أحاطت بالبلاد "وصمت الباشا قليلا كأنما ليجمع شتات فكره". [١١٣]

ويعد **التزمّت** من دوال الصمت في قوله: "ولو كان الأمر بيده لتمّ الزفاف في صمت شامل)[١١٤] فالسيّد يرغب في الحفاظ على (مظهر) الالتزام وربما التزمّت، فرغب في أن يتمّ الزفاف دون أي مظهر من مظاهر الفرح كالغناء والرقص وغيرها، وربما كانت رغبته هذه نابعة من خوفه من افتضاح أمره، فإذا كان الزفاف يحتوي على مظاهر الغناء وغيره، فلربما التقى أهل بيته بطائفة الراقصات اللائي يعرفهن فيُكشف أمره. وظهرت رغبته تلك مرة أخرى في زفاف

ابنه ياسين (ولكن السيّد اعتذر وأبى إلا أن تكون ليلة زفاف صامتة تقتصر مسراتها على العشاء الفاخر.)[١١٥]

وفي الصمت تلاعب وعبث مثلما نجد في تلاعب (السيّد) (بزوجه) عندما نازعتها نفسها إلى طلب زيارة الابنة عائشة في بيتها، ولكنّ السيّد لم يرتح لما رآه (مكرًا) من زوجه لأنها لم تطلب منه الزيارة بشكل صريح، فما كان منه إلا التلاعب بها من خلال (تعمّد الصمت) الذي يعني- طبقا لأمينة – عقاب لها على تفكيرها في زيارة الصغيرة" أمّا السيّد فقد تعمّد أن يلزم الصمت كأنه انتهى من الأمر، كله معاقبة لها على ما عده مكرًا منها لا يُغتفر" [١١٦]

وترتبط **دلالة (المداعبة)** بالتلاعب والعبث إلى حد ما ومن ذلك ما نجده من (خديجة) ومداعبتها (لعائشة) بعد اكتشاف أمر حبها " لا تظنّي أنك بلغت برّ الأمان، إن لساني لا يسكت إن لم تحسني مشاغلته".[١١٧]

وامتزجت دلالتا شدّة الغضب/ العجز عن التعبير أو الكلام، في سياق اكتشاف (السيد) لعبث (ياسين) ابنه ".. ملتزما الصمت ومُطيله كي يُطيل له له العذاب والإرهاب وكأنما أراد بصمته أن يُعبّر له عمّا يجد نحوه مما يعي الألفاظ حمله.."[١١٨] وكذلك عندما لم توافق (خديجة) على رغبة (عبد المنعم) في خطبتة (بكريمة) ابنة (ياسين والعوادة زنوبة)وتحدثها معه بخشونة: "فسكت عبد المنعم وقد تجهم وجهه" [١١٩]

وقد يأتي الصمت ليفيد معنى الضرر، فالصمت عند حدوث حدث جلل قد يؤدي إلى عواقب غير محمودة فكان رفض السيد للصمت "إلا أنه أدرك خطورة الصمت والانكماش، فهتف بالشباب غاضبًا". [١٢٠] فالصمت في الموقف الذي عرض له (محفوظ) -اتهام الشباب لياسين بالخيانة في المسجد- قد يوصل الصمت إلى الإضرار والإيذاء.

والحرج من الدلالات المتعددة للصمت ومن ذلك ما نجده في قوله: "فاتجه السيّد صوب الباب، مُطبق الفمّ مُتجهّم الوجه، تبعه الأبناء في صمت ثقيل".[١٢١] وقد جاء هذا الصمت والحرج بعدما تعرض (السيد) إلى موقف بالغ الإحراج في المسجد عندما تعرض بعض الأفراد لابنه (ياسين) واتهامهم له بمصادقة

الإنجليز، ولولا تدخل مجموعة من العقلاء لتحول الأمر إلى اتجاه غير مأمون العواقب، فمن هنا جاء حرج السيد، لتعرض مكانته لمثل هذا الموقف. ومنه أيضا الموقف الذي دار بين (حمزاوي والسيد) إثر طلب يد (نعيمة) لابنه (فحمزاوي) يعمل لدى (السيد)، ورغم مكانته إلا الطلب شكل حرجا لكليهما. "ومضت فترة سكون مشحونة". [١٢٢]

ويعدّ **تمثيل الإقتناع/ أو التظاهر بالإقتناع** واحدة من دلالات الصمت :وأعقب هذا التّصريح صمتٌ تنفسّ فيه كلاهما من الراحة، فظن (فهمي) أنّ استجوابه قد انتهى بسلام، وظن (السيد) أنه انتشل ابنه من الهاوية".[١٢٣] وقد دلّ الصمت على الارتياح(الظاهري) بعد السجال الذي دار بين (السيّد وابنه فهمي) الذي كان يشارك في التظاهرات ضدّ الإنجليز، وأقنع السيد ولده بعدم التظاهر، وأبدى الفتى اقتناعه فجاء الصمت معبرا عن الراحة بين الطرفين.

وقد دلّ **الصمت على أنواع شتى من الرثاء،** الأول رثاء الراحلين، الثاني رثاء الذات والبكاء عليها. ومن النوع الأول ما نجده في قوله: "وخيّم الصمت ريثما ذهب الأثر الذي تركه ذكر الراحلين"[١٢٤]. أمّا الثاني– رثاء الذّات – "إنّه الرثاء الصامت، أليست زبيدة في الخمسين؟"[١٢٥]. والثالث رثاء الأماكن والتحسّر على المكان وذكرياته، ما نجده من رثاء ياسين لمكان تجمعه وأصحابه إثر قرار إزالتـــه " ثم ساد صمت مرهق" [١٢٦]

وترتبط دلالة **التحسّر بالرثاء** فنجد (كمال) يتحسر على شقيقته (عائشة) وحالها "وكان يتأملها طويلا صامتا". [١٢٧]

والوحدة ترتبط بالرثاء إلى حد ما وجاءت في سياق حديث (السيّد) مع نفسه حديثا صامتا "ووجد في باطنه صوتًا كالأنين يهتف في عالمه الصامت". [١٢٨] وكذلك "وأنّ العالم من حوله صمت صمت القبور، كمثل السيارات التي تتوقف عن السير فيخرس أزيزها، ولكنها تسير بقوة القصور الذاتي في سكون شامل".[١٢٩] فتعبير (صمت صمت القبور) يدلّ في وضوح على شدّة الوحدة بل والمبالغة فيها، فعالمه لا يوجد فيه أحد، ووحدته تتساوى ووحدة الموتى.

وبرغم قوة شخصية (السيد عبد الجواد) فإنه أصبح يستجدي (العوادة زنوبة) رغبة في وصالها فجاء الصمت ليدلّ على **الإستجداء** في قوله: "فوقف

صامتًا مليًا وعلى فيه ابتسامة خفيفة"[١٣٠] وكذلك "تبعها صامتًا"[١٣١] و"أحاط وسطها بذراعيه ولبث صامتًا ليستشعر في هدوء مسها"[١٣٢]

ولم يكتف (السيّد) باستجداء (العوادة)، بل ظلّ يتأملها مفكرا في أسباب وقوعه في حبالها، فدل الصمت على معنى **التأمل** "تفحصّ جسمها ووجهها في هدوء، كأنما ينقب فيهما عمّا لوعه وعبث بوقاره، فساد الصمت ". [١٣٣] ومن ذلك أيضًا تملّي (خديجة) وتأملها (لكريمة)ابنة (ياسين وزنوبة العوادة)، وإدراكها لنموها المفاجيء: " وفي فترة الصمت الي جعلوا فيها يحتسون، حانت التفاتة من خديجة نحو كريمة فكأنما كانت تراها لأوّل مرّة منذ إفاقتها من مسألة عبد المنعم."[١٣٤]

ومن دلالات الصمت كذلك **سلام النفس** (لم تعد مسألة الزواج – في تلك اللحظة على الأقل مما يكربه، ولاذ بالصمت مليا هانئا بالسلام الذي غمر قلبه) [١٣٥]

كما دلّ الصمت على **المباغتة وعدم الرضا** فالسيّد (أحمد عبد الجواد) غير راض عن أوضاع البلاد وما آلت إليه نتيجة الظروف السياسية التي مرت بها وعبر عن ذلك (لكمال) بصمته: " ثم بعد فترة صمت قصير ودون تمهيد". [١٣٦]

ونجد دلالة **الخطورة أو خطورة الموقف أو الحدث** يمثلها الصمت عند اجتماع (السيد عبد الجواد) (والسيد محمد عفت) لبحث أمر زواج ياسين بالعوادة زنوبة وتأثير ذلك على عمله. (ثم مضيا يحتسيان القهوة في صمت إن دلّ على شيء فعلى أن الحديث العابر لم يعد له محلّ)[١٣٧]

ومن دوال الصمت كذلك **الراحة وصفاء النفس**، فبعد شفاء السيّد (عبد الجواد) من وعكته الصحيّة قام هو وأولاده بزيارة الحسين –رضي الله عنه– والصلاة في المسجد فأحسوا براحة وسلام "وظلوا متربعين صامتين"[١٣٨]

وبرغم منازعة (السيد عبد الجواد) الأخيرة وألمه الشديد فإنّ نفسه أبت عليه إلا أن **يدّعي القوة**، ومغالبة الألم الذي هدّ جسده فكان الصمت وسيلته لادعاء القوة "ولكنه غالب ألمه، حتى استطاع أخيرا أن يلوذ بالصمت".[١٣٩]

تذكر الأيام الخوالي والاستمتاع بها أو العودة بالزمن للماضي: ومن ذلك ما نجده في اجتماع أسرة السيد عبد الجواد في منزل العائلة وتذكر كيف كانت الأيام الماضية من راحة وهناء، خاصة بعد استماعهم للغناء"وساد الصمت حينا كأنما استأثر الغناء بوعيهم"[١٤٠] وكذلك عند اجتماع (أمينة) وبناتها وحفيدتها نعيمة وتذكر كيف كانت والدتها تهتم بجمالها ورشاقتها "وعدن إلى الصمت"[١٤١]

ومن دوال الصمت كذلك **الذهول المختلط بالأسى** وحضرت هذه الدلالة بعد زيارة (ياسين) لوالده الذي تعرض لوعكة صحية فذهب لزيارته ورؤيته فكان الأسى والذهول من رؤية هذه القامة والقدوة تقع فريسة للمرض " وقصد حجرة أبيه رأسًا فألقى عليه نظرة طويلة صامتة ثم انسحب إلى الصالة في مذهولا".[١٤٢]

وكان الصمت دالا على **التأفف والضيق** فالسيّد (عبد الجواد) يتأفف من مرور (العالمة زبيدة) على دكانه، فهي لا تمرّ به إلا وترهقه بطلباتها التي لا تنتهي "وقال لها بعد هنيهة صمت.. أهلا.. أهلا".[١٤٣]

وتعد **المفاجأة** واحدة من دلالات الصمت فنجد (علوية صبري) تتفاجيء من طلب (أحمد عبد المنعم) يدها "ولكن لم يند عنها صوت كأنها لم تجد ما تقوله"[١٤٤]

وبجانب دلالة المفاجأة الخالصة، نجد **المفاجأة المصحوبة بالاستنكار والاستهجان** ومن ذلك ما نجده في عرض طلب (فؤاد حمزاوي) يدّ (نعيمة)، ونظرة العائلة لها من اختلاف المستوى الاجتماعي بينهما، فهم يرونه مجرد ابن المستخدم الذي يعمل عندهم" وفي فترة الصمت التي استقبل بها الخبر"[١٤٥]

و**الاستنكار** من ضمن دوال الصمت الي وُظِّفت في الثلاثية فنجد استنكار (ياسين)لحديث أبيه الذي أشار فيه لسلوكياته المعوجّة " صمت ياسين متفكرًا، مستاءً من تحوّل الحديث إلى مجرى ضيق".[١٤٦] ومنه كذلك استنكار (خديجة) لتجرّؤ (ابن الحمزاوي) على طلب يدّ (نعيمة) وحثّها أختها على رفضه: "وقالت خديجة متشجعة بسكوت عائشة "[١٤٧]

ومن دلالات الصمت أيضا **الخسارة وضياع الفرصة،** وذلك عند حثّ (أحمد عبد المنعم) لنعيمة للموافقة على الزواج بفؤاد الحمزاوي واعتقاده بأن

خجلها أو صمتها ضياع لفرصة زواجها من شخص له مكانة مرموقة:"الحياء موضة قديمة، ينبغي أن تتكلمي وإلا ضاعت منك الحياة".[١٤٨]

ويدلّ أيضا على **الإعجاب** فنجد (عبد الرحيم باشا) يُعجب ب(رضوان) وحلمي عند الالتقاء بهما – رضوان خاصة– للمرة الأولى "فانعكس منه إلى قلب الشابين إجلالا وطمأنينة ولازم الصمت حتى وقف أمام الشابين"[١٤٩]

الإعجاب الممزوج بالفخر بالذات عندما تحلّق أبناء (خديجة وياسين) بمكتبة خالهم (كمال) وإعجابهم بها، فما كان من كمال إلا الإحساس بالفخر والإعجاب بالذات: "ثم وقفوا حول مكتبه وهو يردد بصره بينهم صامتا" [١٥٠]

وارتبطت دلالة **الصمت بالسكوت والسكون** في غير موضع في الثلاثية وإن كان غالبيتها مرتبط بالطبيعة فمن ذلك ما نجده في قول (محفوظ): "وساد الصمت لحظة دوت فيها الريح من الخارج".[١٥١] وكذلك "وجاء ياسين مهرولا تتبعه زنوبة ورضوان ثم ترامي إليهم في الطريق الصامت صوات خديجة"[١٥٢] ومنه أيضًا: "في سكون الهزيع الأخير من الليل"[١٥٣] وكذلك " كان أذان الفجر يسري في الصمت" [١٥٤] ومنه أيضا: "غادر كمال بيت جليلة عند منتصف الساعة الثانية صباحا، وكان الظلام غارقا في الصمت "[١٥٥]، و"ورفع رأسه إلى السماء كأنما ليستأنس بالنجوم فانطلقت في السكون" [١٥٦]

وفي إشارة **لافتة لطبقيّة الصمت**، ما نجده في إشارة (محفوظ) إلى (صمت الطريق الأستقراطي) "فقالت بصوت تردّد عميقًا واضحًا في صمت الطريق الأرستقراطي، الذي بدا خاليًا أو شبه خال". [١٥٧]في إشارة إلى اختلاف طبيعة الطبقة الأرستقراطية وطرقها التي غالبا ما تكون خالية صامتة تدلّ على التزام أفراد هذه الطبقة بالصوت الخفيض خارج أسوار المنزل على العكس من الطريق الصاخب المرتبط بالحارة الشعبية "فالطريق تحت حجرتها لا ينام حتى مطلع الفجر، والأصوات المتقطعة هي التي تترامى إليها أول الليل من سمّار المقاهي وأصحاب الحوانيت هي التي تترامى عند منتصفه وإلى ما قبيل الفجر". [١٥٨] فالتقابل واضح بين الطريقين/ الطبقتين، طبقة الأرستقراطيين بهدوئها اللافت، وطبقة العوام بصخبها اللافت ولعبت دلالة الصمت في الإشارة إلى الطريق الأرستقراطي الصامت دورها في توضيح تلك الإشارة الطبقية.

وجاء الصمت ليدلّ على **الاحترام والإجلال** عندما اجتمع المحتجون على السياسات المجحفة وانطلقت الحناجر بالهتاف وقت قراءة القرآن، فما كان من الخطيب إلا طلب الصمت احتراما.: "فتعالى الهتاف والتصفيق جتى احتج بعض المتزمتين وطالبوا بالصمت احتراما لكلام الله " [١٥٩]

ومن دواله أيضا **مراعاة الشعور والحداد** فقد أصرت (خديجة) على أن تكون زفّة ابنها عبد المنعم صامتة مراعاة لمشاعر عائشة وكذلك لعدم مرور فترة طويلة على وفاة والدها "أما عائشة فإنها عندما دعتها خديجة إلى شهود الدخلة الصامتة". [١٦٠]

وتأتي دلالة الصمت لتشير إلى معنى **التوقف** عند حديث أسرة السيد عبد الجواد عن المغنيات خاصة (جليلة) فأشارت (عائشة) إلى توقف العالمة جليلة عن الغناء منذ زمن بعيد " سكن صوتها منذ عهد بعيد حتى نسيت الغناء". [١٦١]

عن الغناء نجد أيضا دلالة توقف **اطلاق النار أو انتهائه** وقد ترددت تلك الدلالة غير مرة ومن ذلك ما نجده في قوله: "ولكن الضرب سكت أليس كذلك؟!" [١٦٢] ، "ولكن الصمت ساد الميدان" [١٦٣] وأيضا "لقد سكت القتال وبدأ الكلام" [١٦٤]، وكذلك " متى تصمت هذه المدافع" [١٦٥]

ومن دواله أيضا **التقاط الأنفاس** "فضحك محمد عفت حتى سعل، وصمت لحظات" [١٦٦]

ومع التقاط الأنفاس تأتي دلالة **تهدئة النفس** ومن ذلك ما نجده في حديث (رضوان) المنفعل مع أبيه عن زوج والدته: "وصمت دقيقة حتى يهدأ انفعاله" [١٦٧]

وتأتي دلالة **التوجّع** في سياق حديث (كمال) مع (إسماعيل لطيف) عن (عايدة) وحبه لها وبنظرتها له وعدم اكتراثها به "ولم يحاول كمال أن يدعوه إلى مزيد... كان فيما قال الكفاية إلى أن وجد رغبة إلى الصمت والتأمل، وكاد يبكي بكاء صامتا بدموع غير منظورة" [١٦٨]

كما أشار الصمت أيضا إلى دلالة **الردّ القاسي** عند حديث (رضوان) عن زوج والدته وأنه يكيل له ولا يصمت عندما ينتقده "ولكني من ناحيتي لا اسكت

له" [١٦٩] وقد جاء استخدام هذه الدلالة عن طريق توظيف الفعل المنفي (لا أسكت) .

ومن دلالاته كذلك **الاضطرار والضعف،** (فأمّ ياسين) تضطر إلى ابتلاع طريقة ابنها في التعامل معها حتى تحظى برضاه عنها: " ولاذت بالصمت على كُره، والقلب يشفق اشفاقًا شديدا، وجعلت تلحظه بقلق كأنما تستخبره عمّا يطوي عليه صدره فلما (ثقل عليها صمته قالت:.."[١٧٠] فصمت ياسين مثلّ لوالدته عذابا أو تعذيبا، فهي تعلم ما يعتمل في صدره وذاكرته ناحيتها.

ويعد **التركيز** من الدلالات التي جاء الصمت ليعبر عنها فنجد الفتاتين (عائشة وخديجة) يركزن في التزيّن تجهيزا لأنفسهن لاستقبال الزائرات الراغبات في رؤيتهن "فواصلتا نشاطهما في صمت وجدّ"[١٧١]

ومازالت أمينة تمارس عملها المنزلي (طبخ وتنظيم للمنزل وغيره" في تركيز واضح فهي "تفرش ألواح العجين بالرّدة استعدادا لاستقبال الأقراص، تواصل العمل في صمت".[١٧٢]

العُزلة أيضا واحدة من الدلالات التي عبّر عنها الصمت (فأمينة) بعد خروجها لزيارة الحسين وإصابتها سألت عن رد فعل السيد حيال ذلك فلم تجد إلا الصمت الذي عادل العُزلة والذنب "وشعرت الأم–للصمت– الذي قوبل به سؤالها بعُزلة المُذنب".[١٧٣]

ومن دوال الصمت **الإقرار والاعتراف** فقد اعترفت (عائشة) بالخطأ عندما سمحت لنفسها بالنظر من النافذة ورؤية الصاغ "فنكست عائشة رأسها تاركة الصمت يعبّر عن اعترافها".[١٧٤]

فقد لجأ (ياسين) إلى الصمت كي يقرّ بحبه (لزنوبة)، ولكنه عبّر عنه بالصمت بديلا عن الكلام: لاذ يس بالصمت مرة أخرى فخيل للأب أنه يقول له بصمته عرفت أنها فضيحة ولكني أذعنت للحب... غض البصر لائذا بالصمت حتى نطقت حاله بالذنب والتسليم".[١٧٥].

وكان **الانصات الممزوج بالحيرة** واحدا من دلالات الصمت، فالطفل الصغير (كمال) يُنصت في إصغاء تام إلى ثورة أبيه على أخيه ياسين الذي خرج في سهرة مع زوجه إلى واحد من الملاهي الليلة، فلم يفهم الطفل الصغير

ما يدور حوله وسر هذه الثورة"كمال وحده تابع النقاش المحتدم في صمت يقظ، دون أن يفطن إلى السرّ "[١٧٦]

وعادل الصمت الخداع والأمان والحماية عندما التجأ إليه ياسين وهو مخمور خوفا من غضبة أبيه فظنّ والده –خطأ– أن صمته دليل على اعترافه بالخطأ، رغم أنه في الحقيقة ليس أكثر من خدعة أو من وسيلة للخداع والخلاص من العقاب. "لم يرفع ياسين رأسه ولم يتكلم فظن صمته خوفا وشعورا بالخطأ".. ووجد ياسين في الصمت آمن ملاذ أن تفضحه نبراه أو أن يسترسل في الحديث بطلاقة مريبة".[١٧٧]

وعبر الصمت عن **الملل الزوجي** والرتابة على لسان (ياسين) "حتى تنقلب الحركة والجمود سببين، والصوت والصمت توأمين".[١٧٨]

وجاء الصمت شفقة وتعاطفا في صمت (خديجة) وسكوتها بعد اكتشافها قصة حب (عائشة) للصّاغ " وجعلت خديجة تحدق إليها صامتة" [١٧٩]

و(أمينة) وهي ترى ابنها فهمي ثائرا على وجود الإنجليز في مصر "وتحس بحدة الغضب في نبراته فتلوذ بالصمت" [١٨٠]

ودلّ الصمت على **رباطة الجأش** فقد التزم الرجلان (ياسين وكمال) بالصمت وفاة والدهما "وسرعان ما خفف الرجلان دمعهما ولاذا بالصمت". [١٨١]

ومن دلالته أيضا **الخزي والعار** عندما اكتشف أمر (ياسين) مع الخادم نور "وياسين ساكن صامت خافض الرأس".[١٨٢]

وجاءت دلالة الإقناع/ التأثير في موضع إقناع (أحمد عبد المنعم) (لعلوية صبري) بالموافقة على الارتباط به، فهي غير مقتنعة به وبظروفه، فيحاول من خلال الصمت إقناعها والتأثير عليها "سأجد عملا بعد تخرجي.. ثم بعد لحظات من الصمت.. وسيكون لي يومًا دخل لا بأس به"[١٨٣]

وفي **التصديق** على أمر ما دون الإفصاح عنه نجد علاقة الصداقة بين (كمال) و(رياض قلدس) فكل منهما يتخذ الآخر صديقًا وإن لم يُقرا بذلك صراحة فهي من الامور المتفق عليها دون حاجة إلى كلام فكان الصمت هو **الإقرار**

بتلك الحال من الصداقة: "فيما بدا وظلت صداقتهما شعورا متبادلا في صمت لم ينوّها له، فلم يقل أحدهما للآخر {أنت الصديق}".[١٨٤]

وقد يأتي الصمت **للمكاشفة أو توضيح** حقيقة ما هو مستقرّ في الأعماق، أو لنقل التصريح بما هو مخفيّ في الصدور، ويكون الصمت هو الكاشف له ما نجده من حديث (كمال) (لرياض) عن نظرته للمسيحيين وأنه برغم فكره المتحرر من التوجهات الدينية – ظاهريا– إلا أنّ باطنه يكشف عن أمور أخرى "–أنت تتحدث عن الأقباط، أنت الذي لا يؤمن إلا بالعلم والفن، –فلاذ رياض بالصمت".[١٨٥]

وفي **إطار المكاشفة يأتي التحفظ** والخوف من سوء الفهم، فقد دلّ الصمت على التحفظ والخوف من الإفصاح عما يدور في الصدور عندما اجتمع (كمال) و(رياض قلدس) للحديث عن الخلافات الدينية والمذهبية :

" كمال – لماذا لا تعالج ذلك في قصصك؟

رياض: مشكلة الأقباط والمسلمين؟. فصمت رياض قلدس مليّا ثم قال: أخاف سوء الفهم. ثم مستطردا بعد فترة صمت أخرى.."[١٨٦] رغم الصداقة القوية بين كمال ورياض إلا أن حساسية الموضوع دفعت رياض إلى التحفظ وعدم التحدث بصراحته المعهودة، فكان الصمت دالا على التحفظ.

وعبر الصمت **عن الخلاء والخواء** "أما الحجرات فبدت مظلمة صامتة"[١٨٧] وكذلك عندما تحدث الباشا عبد الرحيم مع علي مهران عن الوحدة. "وهي سعادة لا يقدرها إلا من عانى من صمت البيوت".[١٨٨]

وفي **سياق العبث والاستمتاع** نجد طلب الصمت والسكوت على لسان (علي عبد الرحيم) صديق السيد: "لحظة سكوت حتى نستوعب بهذه الكأس".[١٨٩]

وتعجبت صحبة السيد عبد الجواد من صمته فجاء الصمت دالا على **التعجب** "ماذا أسكتك كفى الله الشر؟!" [١٩٠]

ومن دلالات الصمت كذلك **الخجل**، فها هي أمينة تضحك بخجل مع اجتماع أسرتها وتحدثهم عن الأيام الخوالى "عاود الضحك الصامت أمينة، كذلك ضحكت خديجة في شيء من الارتباك".[١٩١] ، ونجد تلك الدلالة أيضا

عندما اجتمع الأصدقاء لعيادة السيدة عبد الجواد، وتعرض بعض الصحبة (لأحمد الهمايوني) "ووجد أحمد عبد الجواد الهمايوني صامتا، فالتفت إليه باسمًا".[١٩٢]

وقد يكون الصمت دافعا **لكسر حاجز الصمت** وفتح الحديث، فأحمد عبد المنعم يلتقي بسوسن للمرة الثانية فيرغب في بدء الحديث معها، فيبتسم صامتا لكسر الجليد وبدء المحادثة، وهي دلالة ربما تكون غريبة للصمت فالصمت ذاته هو ما يكسر حاجزه، "لم يكن رآها منذ أول مقابلة عام ١٩٣٦ والتقت عيناهما فسألها باسما مدفوعا برغبته في الخروج عن صمته".[١٩٣]

وجاء الصمت ليدل على **دلالتي الجزع والطاعة** في آن واحد، بعدما التاعت عائشة بعد علمها بخبر وفاة والدها فأمرها أخوها بالصمت " فكتمت فاها بيدها".[١٩٤]

وكان الصمت دالا على **التراجع ودرء الصدام** تراجع سوسن عن الكلام خوفا من الاصطدام مع خديجة "ولاذت سوسن بالصمت".[١٩٥]

وكان الصمت **وسيلة تعذيب** من المحققين الذين ألقوا القبض على عبد المنعم وأحم شوكت "وساد الصمت حتى عاد الصوت".[١٩٦]

والصبر أيضا دالة من دوال الصمت، (فكمال) يصبر نفسه بعد انفراط عقد الأصدقاء، وأنه لا يوجد بديل سوى الصبر: "فليس أمامه إلا الصمت والتعاسة حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا".[١٩٧] (ثم لم يعد الصمت مما يستطاع)

و**التحمل** من دوال الصمت المتصلة بالصبر، (فمريم) لم تستطع تحمّل تصرفات (ياسين) واصطحابه (زنوبة) منزلها: " ثم لم يعد الصمت مما يستطاع".[١٩٨]

ودلّ الصمت على **التعزية** والأخذ بالخاطر إبان احتضار (أمينة) وسؤال الطبيب عن حالتها: "فصمت الطبيب قليلا".[١٩٩]

ومثّل الصمت دلالة **استعادة الذكريات** بين الصديقين (كمال) و(حسين شداد) وكان الصمت هو الراعي لتلك الذكريات بحلوها ومرها " لا اختيار لي، مرجوي الوحيد أن أستعيد شيئا من مستوى الماضي، وساد الصمت مليا، وكان

كمال يتفحص حسين باهتمام، وكانت صورة من الماضي من خلال تفحصه".[٢٠٠]

كما عبّر الصمت عن **الفرح والسرور** عندما التقى ياسين بوالده وإن لم تُذكر كلمة الصمت صراحة، فإن توظيف الإشارات الجسدية أوضح معناها " ولكنه التقى بعيني أبيه وهو جالس وراء مكتبه فانحنى في إجلال رافعًا يده إلى رأسه في أدب فرد الرجل تحيّته مبتسمًا، ثم استأنف مسيره مسرورًا بهذه الابتسامة كأنّما حظى بنعمة نادرة الوجود". [٢٠١]

وكان للصمت دول البطولة في موقعة صدام خديجة بحماتها وأختها، وتفرعت دلالته لتشكل بنية فريدة في الثلاثية وذلك على النحو الآتي: "

السيد أحمد: الأمر **بالإفصاح** " صحيح يا خديجة؟ يجب أن تتكلمي.

خديجة والصمت **رعبا وغيظا:** " كانت خديجة كأنها فقدت القدرة على النطق" [٢٠٢]

السيد أحمد لعائشة: إن والدتنا تستشهد بك يا عائشة، فيجب أن تتكلمي (**قول الحقيقة**) [٢٠٣]

الجزع (فاضطربت عائشة حتى شحب لونها، ولكن شفتيها لم تتحركا إلا عند ازدراد ريقها، وغمضت عينيها فرارا من عيني أبيها وأصرت على الصمت (إيثار السلامة) [٢٠٤]

الاكتفاء والإقرار واتخاذ الجانب (أم شوكت) ولكن حسبي صمتها.. إن صمت عائشة شهادة لي يا سي السيد.

الرجاء والاستغاثة: على لسان خديجة: " تكلمي يا عائشة، هل سمعتني أشتمها؟[٢٠٥]

وعقب هذه المعركة الصامتة بين عائشة وخديجة وحماتهما، انتقلت خديجة بالصراع إلى والدتها ووظف محفوظ الصمت في هذه المعركة على النحو الآتي:

تدبير أمر ما: " فأشفقوا مما سيتمخضّ عنه صمت خديجة"[٢٠٦] فخديجة بصمتها، تدبر أمر ما فهي لم تسلم أو تقرّ بهزيمتها وتُصرّ على تدبير ردّ ما.

الصمت والخيانة: فقد ثارت خديجة على عائشة ورأت أن صمتها كان خيانة لها: " لأنك خنتني وشهدت بصمتك علي".[٢٠٧]

والصمت يساوي **السكوت** وعدم التحدث والشهادة لصالح خديجة – من وجهة نظر عائشة: "كل واحد يعلم بأن الصمت كان في صالحك".[٢٠٨]

واكتملت فصول المعركة الصامتة بذهاب خديجة لوالدتها أمينة التي بادرتها باقتناعها بصمت عائشة وأن الصمت مثل لها **ملجأ وملاذا..** " ماذا أغضبك من عائشة؟ لقد صمتت أليس كذلك؟ لم في وسعها أن تخرج عن الصمت".[٢٠٩]

والتزمت أمينة الصمت في خطتها **لتهدئة الأمور** بين الأختين، خاصة بعد حديث خديجة عن سلوكيات عائشة المغايرة لما شبّت عليه: " ساد الصمت، وبدت أمينة في حيرة شائكة، غير أنها صممت على خطة التهدئة".[٢١٠]

ووشى **الصمت بالتردد** عند خديجة " فجعلت خديجة تنظر إليها في صمت وشي بترددها". [٢١١]

وبعد وشي خديجة بعائشة جاء **ردّ أمينة الرافض** لسلوكيات ابنتها بمحاسبتها" لن أسكت، ولا يصحّ أن أسكت".[٢١٢]

وجاء **التحريض** من خديجة مرة أخرى بإعلان خيانة عائشة لوالدتها نفسها فقالت: "عائشة لم تخنيّ فحسب، ولكنها خانتك أنت أيضًا.. وصمتت ريثما يتغلغل قولها في الأعماق.."[٢١٣]

وكان ردّ فعل أمينة المتوقع **الحزن الشديد والتزام الصمت:** " استسلمت أمينة للحزن، فنكست رأسها ولاذت بالصمت".[٢١٤]

الخاتمة ونتائج البحث:

١- لعب الصمت دورا فاعلا في بنية الثلاثية، وتنوّعت دلالاته فلم تقتصر على دلالة (غياب الكلام) فقط، بل أدت وظائف أخرى كثيرة ، اختلفت باختلاف المواقف والشخصيات.

٢- تنوعت أوصاف الصمت فنجد (الصمت الآمن) و(الصمت مليّا) و(لاذ بالصمت) و (صمت عميق) و(صمت غليظ) و(صمت مسربل)، (صمت شامل) (صمت واجم) و(الصمت المتجهم) و(صمت مريب) (صمت القبور (صمت مكظوم).

٣- وفي تحديد المدّة الزمنية اقترن الصمت بكلمات (هنيهة صمت)،و(الصمت قليلا) (صمت لحظات)

٤- ارتبط الصمت بالأفعال لزم، والتزم ،ولاذ، واسكت، اسكتوا، اسكتِ، أمسك،ثابر، لبث،خيّم، اشتدّ، طال، أناخ، تصامت.

٥- وجاءت الاستعارة مع الصمت (ندّ عن الصمت تنهيدة)، و(استحال الصمت في أذنيها وقرا)

٦- من مترادفات الصمت (الخرس)، (الصبر) ، السكون.، السكوت، لا أتكلم.

٧- بفكّ ترميز دلالات الصمت وجدت الباحثة أن عدد هذه الدلالات بلغ نحو اثنتين وعشرين ومائة دلالة مختلفة، ما بين السكوت وعدم الكلام،والصبر، والرجاء، والهزيمة، والراحة، والظفر، والكتمان وغيرها مما أثبتناه في البحث.

٨- تنوعت آليات الصمت وطرقه في الثلاثية، فنجد توظيفا لعلامات الترقيم، وتوظيفا للمفردات اللغوية عن طريق الوصف والأفعال، وكذلك من خلال الإشارات والحركات الجسدية.

وهكذا يتضح لنا أن الصمت في الثلاثية لم يكن مجرد كلمة تتردد، بل إنه شكّل بنية أصيلة في الثلاثية لا يمكن الاستغناء عنها، وترك منتج النص للقارئ مهمة كشف رموز هذه البنية.

الهوامش :

١- Nonverbal communication across disciplines: Vol.2 Paralanguage, Kinesics, Silence, Personal and environmental interaction, Fernando Poyatos, John Benjamins, Amsterdam and Philadelphia, 2002, P.299

٢- يُنظر تفصيل ذلك في:

A) Communicative silences: forms and functions, Thomas Bruneau, The journal of communicatin, 1973, Vol. 23, P. 17-46

B) Communicative functions of silence, V. Jensen, ETCA review of general semantics, 1973, Vol. 30, P. 249-257

C) The language of silence, Peter Tiersma, Rutgers review, Rutgers university, Us,1995 Vol. 48, P. 100

D) Discourse of silence, Dennis Kurzon, John Benjamin's, Amsterdam and Philadelphiam 1998.

٣- The language of silence, Jug Suraiya, June, 11,2012 ,http://blogs.timesofindia.indiatimes.com/jugglebandhi/the-/language-of-silence

٤- Tannen, Deborah, Saville-Troike, Muriel (Eds.), 1985. Perspectives on Silence. Ablex, Norwood, NJ. P.5

٥- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الخانجي،القاهرة، ط.٣، ١٩٩٢م، ص ١٤٦

٦- أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي- دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، سليم حمدان، جامعة الحاج لخضر، ٢٠٠٩، ص ٤١

٧- الصمت والنصّ المفتوح: قراءة في رواية فردوس لمحمد البساطي، د/ محمد البارودي، جامعة صفاقس، تونس، العدد ١٥.

٨- The social and cultural construction of silence, Robert N. St. Clair, University of Louisville, p.2

٩- The language of silence: west German Literature and Holocaust, Ernestine Schlaut, Routledge, Uk and New York, 1999. P Introduction.

١٠- The language of silence on the unspoken and the unspeakable in Modern Drama, Leslie Kane Fairleigh, Dickinson University Press, London & Tornto, Associated university press, 1984, p.17

١١- طبقت الباحثة باتريشيا أوندك لورانس هذه الأنماط الثلاثة في دراستها للصمت في روايات الكاتبة الأمريكية الراحلة فيرجينا وولف، ورأت أن هذا التقسيم قابل للتطبيق

على نماذج روائية أخرى مثل نموذج فيرجينيا وولف. بل ووضعت نموذجا تطبيقيا لرواية الصمت عند وولف، انظر تفصيل ذلك في:

The reading of silence: Virginia Woolf in the English literature, Patricia Ondek Laurance, Stanford University Press, California, 19991, P. 1-5

١٢- **Ibid, 1**

١٣- **The language of silence on the unspoken, p. 17**

١٤- الكتابة في درجة الصفر، رولان بارث، ت. د/ محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط. ١، ٢٠٠٢، ص ٩٩، والعنوان الأصلي للكتاب **Le degre Zéro de l'écriture**

١٥- **Language of silence: west German, p. 3-5**

١٦- بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، زاوي أحمد، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٥، ص ٢٨٩، وانظر كذلك علم اللغة الاجتماعي، د. محمد حسن عبد العزيز، ص ١١٦

١٧- الحوار القصصي: تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. ١، الأردن، ١٩٩٩، ص ٥٠، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفتاح.

١٨- بنية اللغة الحوارية، ص ٢٨٨ ، نقلا عن جيرار جنت وقد قمت بمراجعة النص الأصلي بلغته الأصلية ووجدت فرقا في الترجمة (فقد ترجم محمد مفلاح مصطلح **Duree** بلحظات الصمت، وإن كنت أفضل ترجمته بزمن الزمن وهذا هو النص الأصلي:

" sentir, car les faits d'ordre, ou de fréquence, se laissent transposer sans dommage du plan temporel de l 'histoire au plan spatial du texte: dire qu'un épisode A vient« après» un épisode B dans la disposition syntagmatique d'un texte narratif, ou qu'un événement C y est raconté « deux fois» sont des propositions dont le sens est obvie, et que l'on peut clairement confronter à d'autres assertions telles que «l'événement A est antérieur à l'événement B dans le temps de l'histoire» ou« l'événement C ne s'y produit qu'une fois ». La comparaison entre les deux plans est donc ici légitime et pertinente. En revanche confronter la « durée » d'un récit à celle de l'histoire qu'il raconte est une opération plus scabreuse, pour cette simple raison que nul ne peut mesurer la durée d'un récit".

يُنظر تفصيل ذلك في :

Figures 3, Girard Genette, Seil, Paris, 1976, P.122-

١٩- بلاغة الصمت من خلال نماذج من الرواية العربية، د/ علي عيد، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس.

٢٠- Non verbal communication, Poyatos, P.304

٢١- The language of silence on the unspoken, p. 20-24

وتم استعراض مجموعة من المسرحيات ودلالات الصمت فيها مثل مسرحية تشيكوف (شجرة الكرز /Cherry Orchid) وفيها عرض لدلالات الافتراض الخاطيء، وتعرض كذلك لمسرحية En Attendant Godot لصمويل بكيت، وكشف الصمت فيها عن دور تلاعب الشخصيات. يُنظر تفصيل تحليل تلك المسرحيات وغيرها في الكتاب ص ٢٠ وما بعدها.

٢٢- The reading of silence Virginia Woolf, p 3

٢٣- بنية اللغة الحوارية: ص ٢٩٥ وكذلك مشكلات اللغة والتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي، نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٢، ٧٠-٧١، وينظر بلاغة الصمت في الخطاب الصوفي: قراءة في مذاق البدايات، د. أحمد بوزيان، مجلة الأثر، العدد الثامن عشر ٢٠١٣

٢٤- بين القصرين، نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة العاشرة، ٢٠١٥، ص ٥.

٢٥- السابق، ص ١٠

٢٦- السابق، ص ١٣

٢٧- السابق،ص ١١

٢٨- السابق، ص٢٦

٢٩- السابق، ص ١٧

٣٠- السابق ٧١

٣١- السابق ٧٣

٣٢- السكرية، نجيب محفوظ، دار الشروق، ط.٦، ٢٠١٥،ص ٢٦٥

٣٣- - بين القصرين ٣٣

٣٤- السابق، ٣٦

٣٥- السابق ١٣٩

٣٦- السابق

٣٧- السابق،٥٧٦

٣٨- السكرية، ٢٠٦

٣٩- السابق، ٢٧٢

٤٠- السابق، ٢٧٩

٤١- السابق، ٣٩٦

٤٢- بين القصرين، ص ٤٦

٤٣- السابق، ١٤

٤٤- قصر الشوق ، نجيب محفوظ، دار الشروق، ط.٧، ٢٠١٥، ص ٤٣٦

٤٥- بين القصرين ٥٠

٤٦- السابق ٤٣
٤٧- السابق،٤٥
٤٨- السكرية ٨٥-٨٦
٤٩- السابق، ٢٦٣
٥٠- السابق ٢٦٤
٥١- بين القصرين ١١٤
٥٢- السابق ٩٥
٥٣- سكرية ٣٩٤
٥٤- قصر الشوق ص ٤١٢
٥٥- السابق ١٠٢
٥٦- بين القصرين ، ٥٠
٥٧- ـ السكرية، ٢٤
٥٨- بين القصرين
٥٩- السابق، ١٠٨
٦٠- السابق، ١١٤
٦١- السابق ١١٣
٦٢- السابق ١٣٤
٦٣- السابق ١٣٤
٦٤- بين القصرين، ١٥٨
٦٥- السابق ٣٢٣
٦٦- السابق، ٣٢٤
٦٧- السابق ١٧٥
٦٨- السابق
٦٩- السابق، ٢٦٦
٧٠- السابق ٢١٥
٧١- السابق، ٢٥٩
٧٢- السابق ٤٤٦
٧٣- السابق ٣٥٨
٧٤- السابق، ٣٨٩
٧٥- السابق ٢١٦
٧٦- قصر الشوق ١٥٣
٧٧- ـ السابق١٥٦
٧٨- السابق٤٢٥
٧٩- السكرية ١٨٥-١٨٨
٨٠- بين القصرين، ٢٢٥
٨١- السكرية ١٤٠
٨٢- بين القصرين ٤٥٨

٨٣- السابق، ٢٣٢
٨٤- السكرية١٤٣
٨٥- قصر الشوق ٥٧
٨٦- السكرية ١٤٤
٨٧- بين القصرين ٧٦
٨٨- السابق١٤٣
٨٩- قصر الشوق ٤٦
٩٠- بين القصرين ٩١
٩١- قصر الشوق ٣٣٣
٩٢- بين القصرين ١٠٥
٩٣- السابق، ١٤١
٩٤- قصر الشوق ٦٨
٩٥- بين القصرين ١٤٣
٩٦- السكريّة ٨٥
٩٧- قصر الشوق ٧٠
٩٨- السابق، ٨٠
٩٩- السابق، ١١١
١٠٠- السابق ١٥٨- ١٦٤
١٠١- السابق٢٢٦-٢٢٧
١٠٢- السابق.
١٠٣- السابق ٢٦٣
١٠٤- السابق، ٣٢٤
١٠٥- السابق ٨٠
١٠٦- السابق ٩٢
١٠٧- السابق
١٠٨- بين القصرين، ٣٠٤
١٠٩- السابق، ٣٩٣
١١٠- السابق، ٢٧٣
١١١- السابق، ص ٢٦١
١١٢- السكرية ٧٦
١١٣- السابق، ٣٦٦
١١٤- السابق، ٢٩٤
١١٥- السابق ٣٤٢
١١٦- السابق ٣٣٣
١١٧- بين القصرين ١٦٥
١١٨- السابق، ٤٤٦

١١٩- السكرية ٢٨٢
١٢٠- السابق ٤٧٧
١٢١- السابق
١٢٢- السابق ٢٠
١٢٣- السابق ٤٨٨
١٢٤- قصر الشوق، ١٠
١٢٥- السابق، ١٠١
١٢٦- السكرية
١٢٧- السكرية ٢٣٨
١٢٨- السابق ١١٦
١٢٩- السابق ١٢٢
١٣٠- السابق ١٢٦
١٣١- السابق ١٢٦
١٣٢- السابق ١٣٧
١٣٣- السابق ١٢٨
١٣٤- السابق ٢٤١
١٣٥- السابق ١٤٤
١٣٦- السابق ٤٥٣
١٣٧- السابق ٤١٧
١٣٨- قصر الشوق ٥٣٠
١٣٩- السكرية، ٣٦٧
١٤٠- السابق ص ٩
١٤١- السابق ١١
١٤٢- قصر الشوق ٥١٤
١٤٣- السكرية ص ٢١
١٤٤- السابق ٢٢٣
١٤٥- السابق ٣١
١٤٦- قصر الشوق ١٤٤
١٤٧- السكرية ص ٣١
١٤٨- السكريّة ص ٣٤
١٤٩- السابق ٨١
١٥٠- السابق ص ٣٧
١٥١- السابق٧٩
١٥٢- السابق ٢٧٢
١٥٣- السابق٣٧١
١٥٤- السابق ٣٨٦
١٥٥- السابق ٢٦٢

١٥٦- السابق
١٥٧- قصر الشوق ٣٢٠
١٥٨- ـ بين القصرين ٥
١٥٩- ـ السكرية ٤٣
١٦٠- ـ السابق٣٣٤
١٦١- ـ السابق ١٥٣
١٦٢- السابق ٤٦
١٦٣- نفسه
١٦٤- السابق ٧٧
١٦٥- السابق ٢٦٤
١٦٦- السابق ٥٤
١٦٧- السكرية ٧٦
١٦٨- السابق ٦٤
١٦٩- نفسه
١٧٠- بين القصرين ١٣٩
١٧١- السابق١٧١
١٧٢- قصر الشوق ١٤
١٧٣- بين القصرين ٢٠٨
١٧٤- السابق
١٧٥- قصر الشوق ٤٢٣-٢٤٣،
١٧٦- بين القصرين ٢٣٥
١٧٧- السابق٣٦٢
١٧٨- السابق ٣٨٩
١٧٩- السابق ١٦٤
١٨٠- السابق ٤٠١
١٨١- السكرية ٢٧٤
١٨٢- بين القصرين
١٨٣- السكرية ٢٢٥
١٨٤- السابق ١٧٦
١٨٥- السابق ١٧٨
١٨٦- السكرية ١٧٧
١٨٧- قصر الشوق ٣٥٥
١٨٨- السكرية ٣٦٧
١٨٩- قصر الشوق- ٥٠٩
١٩٠- السابق ٥١١
١٩١- السابق٥٠

١٩٢- السابق٥٢٣
١٩٣- السكرية ٢٤٩
١٩٤- السابق ٢٦٧
١٩٥- السابق٣٣٧
١٩٦- السابق ٣٨٩
١٩٧- قصر الشوق٣٣٩
١٩٨- السابق ٣٥٩
١٩٩- السكرية ٣٩٢
٢٠٠- السابق ٣٧٣
٢٠١- بين القصرين، ٨٠
٢٠٢- قصر الشوق ٣٠٢
٢٠٣- السابق ٣٠٥
٢٠٤- السابق ٣٠٦
٢٠٥- السابق ٣٠٦
٢٠٦- السابق ٣٠٨
٢٠٧- السابق ٣١٠
٢٠٨- السابق ٣١٠
٢٠٩- السابق ٣١١
٢١٠- السابق ٣١٣
٢١١- السابق ٣١٣
٢١٢- السابق ٣١٤
٢١٣- السابق ٣١٥
٢١٤- السابق ٣١٦

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

-الجرجاني (عبد القاهر)

١-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الخانجي،القاهرة، ط.٣، ١٩٩٢م

-محفوظ (نجيب)

٢- بين القصرين، دار الشروق، القاهرة، ط.١٠، ٢٠١٥

٣-السّكرية، دار الشروق، القاهرة، ط. ٦، ٢٠١٥

٤-قصر الشوق، دار الشروق، القاهرة، ط.٧، ٢٠١٥

ثانيًا المراجع:

-أحمد (زاوي)

٥-بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح ، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٥

-البارودي (د/ محمد)

٦-الصمت والنصّ المفتوح: قراءة في رواية فردوس لمحمد البساطي، جامعة صفاقس، تونس، العدد ١٥.

-بوزيان (د.أحمد)

٧-بلاغة الصمت في الخطاب الصوفي: قراءة في مذاق البدايات، مجلة الأثر، العدد الثامن عشر ٢٠١٣

-حمدان (سليم)

٨-أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي- دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، سليم حمدان، جامعة الحاج لخضر، ٢٠٠٩

-عبد السلام (فاتح)

٩-الحوار القصصي: تقنياته وعلاقاته السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. ١، الأردن، ١٩٩٩

-عبد العزيز (د/ محمد حسن)

١٠- علم اللغة الاجتماعي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩.

-عيد (علي)

١١- بلاغة الصمت من خلال نماذج من الرواية العربية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس.

ثالثًا: المترجمات:

-بارث (رولان)

١٢- الكتابة في درجة الصفر، ت. د/ محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط. ١، ٢٠٠٢

رابعًا: الكتب الأجنبيّة:

- Bruneau, Thomas
13- Communicative silences: forms and functions, The journal of communicatin, 1973
- Genette, Girard
13- Figures 3, Seil, Paris, 1976
- Fairleigh,Leslie Kane
14- The language of silence on the unspoken and the unspeakable in Modern Drama, Dickinson University Press, London & Tornto, Associated university press
- Jensen, V.
15- Communicative functions of silence, ETCA review of general semantics, 1973, Vol. 30
- Kurzon, Dennis
16- Discourse of silence, John Benjamin's, Amsterdam and Philadelphiam 1998.
- Laurance, Patricia Ondek
17- The reading of silence: Virginia Woolf in the English literature, Stanford University Press, California, 1991
- Poyatos, Fernando
18- Nonverbal communication across disciplines: Vol.2 Paralanguage, Kinesics, Silence, Personal and environmental interaction, John Benjamins, Amsterdam and Philadelphia, 2002
- Schlaut, Ernestine
19- The language of silence: west German Literature and Holocaust, Routledge, Uk and New York, 1999
- St. Clair, Robert N.
20- The social and cultural construction of silence, University of Louisville.
- Tannen, Deborah,
21- Perspectives on Silence. Saville-Troike, Muriel (Eds.), Ablex, Norwood, NJ, 1985.
- Tiersma, Peter
22- The language of silence, Rutgers review, Rutgers university, Us,1995 Vol. 48

خامسًا: الإنترنت:

- **Suraiya, Jug**

23- The language of silence, June, 11,2012 ,http://blogs.timesofindia.indiatimes.com/jugglebandhi/the-language-of-silence/